نشاط الحركة الوطنية في منطقة متيجة

أثناء الحرب العالمية الثانية من خلال أرشيف ما وراء البحار

الدكتور عنان عامر، جامعة ابن خلدون تيارت

ananeameur@yahoo.fr

ملخص: تتناول هذه الورقة البحثية دراسة نشاط الحركة الوطنية في منطقة متيجة خلال فترة الحرب العالمية الثانية انطلاقا من مجموعة مهمة ومتنوعة من الوثائق الأرشيفية الفرنسية بدأت الدراسة بالتعريف الجغرافي والتطور التاريخي للمنطقة ، تلي ذلك تناول مسالة نشاط مختلف فروع حزب الشعب الجزائري على مستوى المنطقة خلال عهد حكومة فيشي (1940 -1942)،ثم تطور هذا النشاط خلال الفترة الممتدة من إنزال الحلفاء في شمال إفريقيا إلى نهاية الحرب في ماي 1945 .

Abstract:

This paper deals with the study of the activity of the national movement in the Mitija area during World War II from an important collection of French archival documents. The study began with the geographical definition and historical development of the region. (1940-1942). This activity developed during the period from the Allied landing in North Africa to the end of the war in May 1945.

تمهيد: يعتبر التاريخ المحلي لمختلف المدن والقرى والأرياف الجزائرية احد أهم الروافد المساهمة في إعادة تشكيل الذاكرة الجماعية الوطنية من خلال كتابة تاريخ تلك الوقائع كتابة تاريخية موضوعية وأكاديمية بغية إجلاء صورة ماضينا المجيد وإنارة دروب المستقبل لأجيالنا الحاضرة واللاحقة فلا مستقبل لأمة فاقدة أو جاهلة لتاريخها.

يشكل مركز الأرشيف الفرنسي بمدينة اكس اون بروفنس والمعروف بأرشيف ما وراء البحار واحدا من أهم دور المحفوظات الفرنسية التي تحتكر كمًا كبيرا من الوثائق الأرشيفية التي تؤرخ لمختلف جوانب الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية للجزائريين طيلة المرحلة الاستعمارية، وبما أن فترة الحرب العالمية الثانية هي حلقة من حلقات هذه المرحلة المريرة والسوداء من تاريخ الجزائر المعاصرة، وكذلك هي فترة من حيث الجانب التوثيقي تحظى بمادة أرشيفية ثرية بالمعلومات التاريخية الصادرة عن مختلف الأجهزة الإدارية والمؤسسات الأمنية والعسكرية الفرنسية ولعل من بين أهم تلك

الأرصدة الأرشيفية رصيد مصلحة الاتصال لشمال إفريقيا والمعروف اختصارا ب (SLNA) تعتبر هذه المصلحة وريثة "مركز ألإعلام والدراسات" الذي انشأ سنة 1934 من قبل الحاكم العام لوبو LEBEAU على خلفية أحداث قسنطينة لسنة 1934 ،وفي سنة 1945 أصبحت تعرف بمركز ألإعلام والتوثيق الإسلامي ، لتصبح في سنة 1947 تعرف بS.L.N.A كانت تحت إشراف ضبا ط عسكريين وموظفين متخصصين في المسائل الأهلية ذلك كانت المهمة الأساسية لهذه المصلحة المراقبة الشديدة على الجزائريين ولاسيما فيما يتعلق بنشاطهم السياسي(CAOM,**81f865**,).اما فيما يتعلق بالوصف المادي للوثائق مصدر هذه الورقة العلمية فإنها وثائق مكتوبة بالالة الراقنة وتحمل في اغلبها ختمان،ختم الجهة المصدرة لها وختم يحمل ملاحظة سري او سري للغاية تبدو مادتها الورقية في حالة حسنة عموما،اما من حيث التصنيف الموضوعي نميز فيها صنفين التقارير والمذكرات الاستعلاماتية.

1- لمحة عامة حول منطقة المتيجة :

أ. الموقع:

تقع منطقة المتيجة بإقليم الوسط جنوب مدينة الجزائر ولهذا فإنه خلال الفترة السابقة لاحتلال الجزائر كانت تابعة للنطاق الجغرافي لدار السلطان التي ضمّت مدينة الجزائر وما جاورها من المناطق، وهو بذلك يشكّل القسم الثاني من البنية التضاريسية لهذا الإقليم المتميّز بخصوبة تربته عكس الكتلة الساحلية الالتوائية والوعرة التضاريس. وخلال العهد العثماني كان مقسّما إلى مجموعة من الأوطان التي تنقسم بدورها إلى مجموعة من الأحواش والمزارع منها ما هو خاضع للبايلك ومنها ما يعتبر ملكية خاصة تابعة إما للحضر أو الأتراك أو بعض الفلاحين الآخرين.

و يعتبر سهل متيجة الجزء الثاني من إقليم مدينة الجزائر وضواحيها بعد كتلة الساحل وهو امتداد طبيعي للسهول الشمالية من الجزائر، وتبلغ مساحته حوالي 130000 هكتار(Franc J,1931 :78) ، وهو يمتد من المنطقة الجبلية الغربية أي من مليانة غربا إلى وادي بودواو شرقا، حيث يكاد يطلّ على البحر من هذه الناحية لولا بروز بعض الروابي الروابي الرملية الساحلية الضيقة الفاصلة بين البحر والسهل وذلك ابتداءا من الحراش إلى وادي بودواو(حليمي ع، 1968: 45) ، وجنوبا سلسلة الأطلس البليدي وشمالا الحافة الجبلية الممتدة على شاطيء البحر من مدينة الجزائر إلى غاية شرشال غربا، وعليه يمكن القول أن هذه المنطقة تتوسط منطقة جبلية ممتدة من الغرب إلى الشرق على النحو التالي: جبال شنوة التي يبلغ ارتفاعها 900 متر وجبال زكّار 1580 متر(حليمي ع، 1968: 16)، وموزاية 1600 متر وبني صالح 1640 متر وبني موسى 1300 متر وإلى الشرق منها جبال بوزقزة الذي يصل ارتفاعه إلى 1000

متر وإلى الشمال من السهل تمتدّ الهضاب الساحلية التي لا يتعدّى ارتفاعها عموما ال:70 متر وهو ما جعل السهل مفتوحا على المؤثرات البحرية(Rivoinard R1952 :61).

بين هذه الكتل الجبلية يمتد السهل المتيجي في شكل مستو ومنبسط حوضي ومنخفض طولي في كل جهاته الغربية ومفتوح نحو البحر في جهاته الشرقية، بحيث لا يزيد عرضه عن 30 كلم ولا يزيد طوله الممتد من واد الناظور غربا إلى وادي بودواو شرقا عن 100 كلم، كما يختلف عرضه في الأطراف الشرقية والغربية عنه في الوسط إذ هو عريض في الوسط مثل ما هو الحال في الامتداد الفاصل بين منطقة الأربعاء الواقعة عند سفح جبل الأطلس البليدي ومدينة الحراش عند الساحل ويتناقص هذا العرض إلى حدود أل:10 كلم في الأطراف الشرقية والغربية(حسيني ع، 2013: 16).

و يمكن تقسيم هذا السهل من حيث خصوبة تربته إلى منطقتين: المنطقة الأكثر خصوبة وهي تلك الواقعة مباشرة عند المنحدرات الجبلية الأطلسية، تلها المنطقة الثانية الموالية لها من الناحية الشمالية وهي المنطقة التي تنتشر فيها المستنقعات بسبب تجمع مياه الأودية المنطلقة من المنطقة الجبلية(من بين هذه المستنقعات نذكر مستنقع الشعيبة الواقع عند التقاء واد الشقة بواد جر، ومستنقع فرغن عند التقاء وادي مازافران برافدي طرفاية وفطيس وعند المجرى الأدنى لواد الحراش تنتشر مستنقعات في بئر توتة وبابا علي براقي والسمّار، أنظر.Franc J, 1923, pp.175-176).

وعلى الرغم من ظهور هذه المستنقعات منذ فترة طويلة بسبب تشبّع التربة نتيجة ارتفاع كمية التساقط خلال السنوات المطيرة إلا أنه اشتهر بخصوبة تربته ووفرة إنتاجه إبان العهد العثماني وقبله فقد ورد وصفه عند الكثير من المؤرخين والجغرافيين المسلمين والأوروبيين الذين نذكر من بينهم إبن حوقل في كتابه سورة الأرض والمقدسي في كتابه "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم"("... ومتيجة في مرج هم ماء حار عليه أرحية وتسقيه من النهر تدخل لدور كثيرة البساتين...". أنظر. المقدسي، 2003: 184)، وذكره دييغو دي هايدو أنه غني بالإمكانيات الطبيعية والحيوانية(Heado F , 209-214 :1870) وهواؤه صحي وبهذا يساعد كثيرا على الاستقرار البشري، وفي بداية الاحتلال وصفه محمد بن المرابط سيدي ضيف الله في قصيدته الطويلة بأنه كان مصدر رزق هام للفقراء.(Dumas E, 2006 :33,40))، كما وصفه قادة ومنظري الاحتلال الأوائل بأنه سهل مهم للاستيطان ولذلك لا يجب التفريط فيه.

. ب التطوّر التاريخي:

كانت المنطقة مع نهاية العهد العثماني تابعة لسلطة الداي مباشرة ينوب عنه آغا العرب وأعوانه من قياد الأوطان للإشراف على الشؤون الاجتماعية والاقتصادية للبايلك يضاف إلى هؤلاء حكام المدن

كالبليدة والقليعة وشرشال(سعيدوني ن، 2000 :273-275). أما بخصوص التركيبة الاجتماعية فيمكن القول أن النظام العثماني قد قضى على التركيبة القبلية للمنطقة لتحلّ محلّها مجموعات سكانية صغيرة تعيش بالأحواش والمزارع وأصبحت الأوطان تسمّى باليوم الذي ينعقد فيه السوق بدل اسم القبيلة(سعيدوني ن، 2000 :273-275.).

لقد أثرت الظروف الاقتصادية في صياغة التركيبة الاجتماعية بحيث أن المجتمع المتيجي ولاسيما الريفي منه كان مقسما على أساس معيار الثروة، حيث يذكر حمدان بن عثمان خوجة أنّ أصحاب المزارع والملاّك كانوا يستخدمون الرعاة والعمال وليس لهؤلاء أرض ولا أموال ولا مواشي وإنما يحصلون على تسبيقات لسدّ حاجاتهم ويسكنون مع عائلاتهم عند الملاك.

و في أعقاب سقوط مدينة الجزائر وما تلها من عمليات نهب وسلب للممتلكات العامة والخاصة واستباحة لأرواح الجزائريين من قبل الجنود الفرنسيين، شرعت سلطة الاحتلال في إرساء قواعد النظام الجديد فأصدر قائد الحملة دي بورمون في 06 جويلية 1830 قرارا تضمّن إنشاء لجنة يُعهد إلها تسيير المرافق المدنية بالمدينة، ومما جاء في هذا القرار أيضا التأكيد على ضرورة إتباع الاحتلال العسكري للمدينة بالاستيلاء الفوري على الممتلكات من قبل السلطات الفرنسية(C.O.A.M.,GGA ,2X103-27,rapport :p2.).

و قصد تسهيل مهمة الاستيطان أمام قطعان المستوطنين الأوروبيين القادمين إلى الجزائر لم تدّخر ذات السلطات أي جهد في سبيل تحقيق ذلك إما بالقوة العسكرية أو بإصدار ترسانة من المراسيم والقرارات التي تصادر أملاك السكان الأصليين، نذكر من ذلك على سبيل المثال لا حصر مرسوم 08 سبتمبر 1830 الذي أصدره الجنرال كلوزال والقاضي بمصادرة الأوقاف الإسلامية، وقرار 10 جوان 1831 القاضي بضم أملاك الداي والبايات والأتراك الذين غادروا البلاد(حسيني ع ،2013، 37).

لقد مرّت عملية الاستيطان في السهل المتيجي بمرحلتين: المرحلة الممتدة من 1830 إلى 1834 والتي اتسمت بالارتجالية والمرحلة الثانية هي المرحلة التي تلت 1834 وامتدّت إلى النصف الثاني من القرن التاسع عشر وقد أسفرت عن جعل المنطقة بؤرة استيطانية بامتياز حيث بلغ عدد المستوطنين فيها 45842 نسمة سنة 1926 ،(Franc J,1931 :78). والجدير بالذكر هنا على الرغم من محدودة إمكانيات السكان الأصليين للمنطقة والاختلال الكبير في موازين القوى بينهم وبين سلطات الاحتلال إلا أن عملية الاستيطان لم تتم دون مقاومة من طرف السكان المحليين تحت قيادة ابن زعموم، وسيدي السعدي ثم الالتحاق بمقاومة الأمير عبد القادر وصولا إلى الانخراط في مقاومة الشيخ المقراني خلال النصف الثاني

من القرن التاسع عشر. كما لم يتوانى هؤلاء السكان عن الاحتجاج ورفع الشكاوى ضدّ إجراءات نزع الملكية التي شرّعتها مختلف القرارات والقوانين المتعلقة بهذا الموضوع ومنها قوانين 21 جويلية 1846 و16 جوان 1851 وقانون السيناتوس كونسولت Sénatus consulte لعام 1863.

2نشاط حزب الشعب في منطقة متيجة خلال عهد حكومة فيشي 1940-1942

طبقا للتنظيم الإداري الاستعماري أصبحت منطقة متيجة تابعة إداريا لعمالة الجزائر وشكّلت مدينة البليدة الدائرة الحضرية الأهم والتي كانت تتبعها كل من مدينة القليعة، بوفاريك، شرشال وحجوط (مارانقو Marango)، وقد شهدت

المنطقة تركزا للكولون، غير أن ذلك زاد في بلورة الأفكار الوطنية لدى السكان الأصليين في فترة الثلاثينيات من القرن الماضي ولاسيما انتشار فروع حزب الشعب الجزائري التي كانت موضوع متابعات وعمل مخابراتي من قبل مختلف الأجهزة الأمنية الفرنسية آنذاك.

جدير بالذكر أنه قبيل إعلان الحرب العالمية الثانية سارعت سلطات الاحتلال إلى خنق الحياة السياسية وتعليق الحريات وفسح المجال لخطاب سياسي واحد هو خطاب التعبئة العسكرية والاقتصادية للمستعمرة. (سمحت عملية التعبئة التي أعلنتها فرنسا في الفاتح من سبتمبر 1939 بتكوين 14 فرقة عسكرية من المغاربة بلغ تعداد الجزائريين فيها 110000 مجنّد شاركوا في الدفاع عن الأراضي الفرنسية خلال ربيع 1940. أنظر: 179-177 : Recham R ., 1996) ، وعلى غرار مختلف المناطق الجزائرية الأخرى عمدت سلطات الاحتلال إلى رصد أسماء المناضلين والمناصرين الوطنيين قبل الحرب ولذلك تُرشدنا وثائق هذه المصالح إلى معطيات تاريخية ذات أهمية بخصوص الفروع التنظيمية المحلية لحزب الشعب الجزائري، فقد جاء في أحد التقارير الأمنية أن فرع حزب الشعب لمدينة **البليدة** عشية الحرب العالمية الثانية قد ضمّ مجموعة من الأسماء نذكر منها: السيد عيّاد بن عبد الله وهو محامي متربّص عند السيد دوكلاس Duclas. ومن ضمن ما ذكرته الوثيقة الفرنسية بخصوص هذا المناضل بارتباطه بعلاقات مؤكدة مع الأمير شكيب أرسلان بالنظر لتواجده بالأراضي الفرنسية حيث سبق له ترؤس اللجنة الباريسية للمؤتمر الإسلامي منذ 1936، وكذا إشرافه على لجنة الطلبة المسلمين، واعتبرته الدوائر الأمنية الفرنسية المناضل النشيط داخل حزب الشعب(C.O.A.M. **4I8**, 1940 :6).

و ضمّ هذا الفرع قائمة طويلة من المناضلين كان يتراوح مابين 100 إلى 150 بإضافة الى اكثر من 500 متعاطف (CAOM,GGA,9H27 ,voyage d'études et d'information dans le d'épartement d'Alger, le 5janvier 1943) ومن بين نذكر منهم السادة : بن دبية محمد الأمين السابق لفرع الشباب

بمدينة البليدة ومساعد في جريدة الأمة، بوعلام بن احمد الذي سبق له إدارة الجانب المالي لفرع الحزب، كما نذكر الأخوين علي وبوعلام ميرة القاطنين بشارع بولودان بالبليدة وصنّفت الوثيقة الفرنسية بوعلام بالعنصر الخطير في صفوف هذا الفرع ولا سيما فيما يتعلّق بنشاطه الدعائي وتحريض المجندين على رفض الانصياع لأوامر التجنيد، الأمر الذي كان سببا في اعتقاله سنة1938 (C.O.A.M., **4I8**, note de renseignement N°85 du centre des informations et des études, Alger le 29 janvier 1940).

- **بوفاريك:**

تُعدّ مدينة بوفاريك من أبرز التجمعات السكانية في منطقة متيجة وهي همزة وصل بين مدينتي البليدة والجزائر وبالنظر لهذا الموقع فقد ظهر فيها نشاط سياسي مكثّف للوطنيين الجزائريين ولاسيما من مناضلي حزب الشعب، نذكر منهم السادة: أوجراح آكلي والذي سبق له أن عُيّن مستشارا بلديا سابقا ووصفته تقارير الإدارة الفرنسية بالمناضل النشيط والخطير في صفوف حزب الشعب، كما نذكر السيد زياط محمد العامل بسلك البريد والذي سبق له ترؤس الفرع المحلي للحزب(C.O.A.M., **4I8**, note de renseignement N°85 du centre des informations et des études, Alger le 29 janvier 1940).

- **شرشال:**

وعلى مستوى مدينة شرشال ذكرت المصادر الأرشيفية السيد بن يوسف بومدين رئيس الفرع المحلي لحزب الشعب خلال 1937، والحاج صالح حمدود(C.O.A.M., **4I8**, note de renseignement N°85 du centre des informations et des études, Alger le 29 janvier 1940).

لقد سارعت سلطات الاحتلال عشية اندلاع الحرب العالمية الثانية إلى تنفيذ جملة الإجراءات الاستثنائية التي أصدرتها في صيف 1939 باعتقال قيادة الحزب ومناضليه على المستوى القاعدي وذلك طبقا لمراسيم 18 و25 نوفمبر و21 ديسمبر 1939، حيث وُجّهت تعليمة الحاكم العام إلى وُلاة العمالات الثلاث امرا باعتقال كل المناضلين المشبوهين، وعليه تمّ اعتقال مجموعة من مناضلي الحزب على مستوى منطقة متيجة نذكر منهم: السيد أوجراح عبد القادر من مدينة بوفاريك والسيد بن كدّة زروق المدعو زاموشة، والسيد مقداد علي المدعو المازوني، والسيد يحياوي علي المعروف بالباريسي(C.A.O.M., 4I8,un bout de papier mentionné ,RM ,avril 1940.) ، وتمّ توجيه البعض منهم إلى السجن المدني بالحراش في حين وُضع البعض الآخر تحت الاحتجاز الإداري في معتقلات الجنوب وتحديدا معتقل جنان بورزق الواقع بمنطقة عين الصفراء (أُقيم هذا المعتقل في الإقليم العسكري التابع لعين الصفراء، يقع تحديدا

قرب جبال القصور في منطقة شبه معزولة تبعد عن الحدود المغربية ب: 25 كلم، وأقرب التجمعات السكانية إليه: بني ونيف 60 كلم جنوبا وعين الصفراء 80 كلم شمالا،على ارتفاع يبلغ 1045 م ، وامتازت الظروف المناخية بالقساوة ولاسيما ارتفاع درجة الحرارة صيفا وأخذ هذا المعتقل اسمه من الواحة الصغيرة القريبة منه والمعروفة بجنان بورزق، يُصنّف هذا المعتقل في قائمة المعتقلات المخصصة للمعتقلين الذين يخضعون للإقامة المحروسة،وحسب تقرير التفتيش لسنة 1942-1943 فقد ضم هذا المعتقل 226 معتقل من أصول مختلفة(اوروبيون، يهود وجزائريين انظر: ministère des affaires étrangères et européenne, guerre-vichy 1939-1945,volume 153,rapports d'inspection 1942-1943,centre de Djenien Bou-rezg,pp.1-5.).

و على الرغم من التضييق الكبير الممارس من قبل إدارة الاحتلال بغية إنجاح عملية التعبئة العامة التي شرعت فيها مع بداية الحرب وضمان تجنيد مئات الآلاف من الشباب الجزائري وتسخير كل الطاقات والإمكانات المادية لصالح المجهود الحربي الفرنسي ضدّ القوات النازية ، إلاّ أن تطورات الأحداث وخصوصا على مستوى المواجهة العسكرية بين الطرفين في الجبهة الأوروبية والتي انتهت

بالهزيمة المروّعة التي لحقت بالقوات الفرنسية مع نهاية ربيع 1940 وتوقيع حكومة الماريشال بيتان على الهدنة التي نظمت قواعد العلاقة بين ألمانيا النازية وفرنسا المنهزمة وهي علاقة تبعية وانصياع ثم ما واكب هذا الانهيار العسكري من انعكاسات سياسية واقتصادية واجتماعية على مستوى شمال إفريقيا عامة والجزائر خاصة قد ساهم في بعث نشاط خلايا حزب الشعب الجزائري النائمة للعودة إلى العمل السري تحت توجيه قيادة جديدة نذكر منهم المناضل السيد أحمد دوّار والدكتور الأمين دباغين وغيرهم من الوجوه التي شكلت الجيل الثاني في قيادة الحزب. وكان الانطلاق في هذا التحرّك بصفة خاصة يتم في المقاهي التابعة ملكيتها للجزائريين (Café Maures) أو قاعات الحلاقة أو عن طريق توزيع المناشير، والأعداد المتعلقة بجريدة العمل الجزائري (Action Algérienne).

و في هذا السياق نذكر أنه على مستوى حواضر القطاع المتيجي، ذكرت بعض التقارير الأمنية رصدها لتحرّكات مشبوهة لبعض العناصر التابعة للحزب على مستوى كل من البليدة وبوفاريك، وذكرت هذه التقارير تركيز هؤلاء المناضلين نقاشاتهم حول قضية الهزيمة العسكرية الفرنسية أمام الألمان، وانهيار سمعة وهيبة حكومة الاحتلال في عيون هؤلاء المناضلين وانتظار الدعم الألماني للجزائر العربية.(C.A.O.M., **418**, note de renseignement N°771/C.I.E, Alger le 3 juillet 1940).

وسجلت سنة 1941 عودة حقيقية وقوية لعناصر حزب الشعب الجزائري إلى الساحة للتعبير عن رفضهم للوضع القائم في الجزائر وذلك من خلال المطالبة بتحرير المعتقلين السياسيين وعلى رأسهم السيد ميصالي الحاج، معبّرين عن ذلك بالكتابات الجدارية وتعليق المناشير وفي هذا الصدد نذكر أنه في شهر أفريل 1941 لاحظت سلطات الاحتلال على مستوى مدن القطاع المتيجي بروز كتابات جدارية تجاوزت نطاق الأحياء العربية إلى مستوى الشوارع الرئيسية للمدن، ومن بين هذه الكتابات ذكرت التقارير الأمنية الفرنسية العبارات التالية: "يحيا ميصالي"، "يحيا بلوم"، "يحيا حزب الشعب"، كما حملت هذه الكتابات شعارات جديدة شدّت انتباه مختلف الدوائر الأمنية والسياسية الفرنسية على غرار: "حزب الشعب سوف ينتصر"، "و لقوله الحقيقة تمّت إدانة ميصالي"، "أيها المسلمون ميصالي هو قائدكم"، "كل الشعب مع ميصالي"، "ميصالي هو القائد الأعلى للجزائر"، "الجزائر للجزائريين"، وأضيف كذلك إلى سلسلة العبارات هذه شعار آخر هو:"يحيا هتلر"(C.A.O.M., **4I8**, R M, Alger aoutS1941 .)

و قبل ذلك كانت ثكنة الحراش والمعروفة بالبيت المربع مسرحا لعملية تمرد قام بها بعض المجندين الجزائريين التابعين إلى فوج الزحف للمشرق (Régiment de marche sur le levant) في شهر جانفي 1941 وقد خلّف الحادث قتلى وجرحى وحالة فوضى بمنطقة الحراش، وجرت متابعات قضائية ضدّ المتهمين المباشرين وكذا حاولت إدارة الاحتلال ربط الحادثة بعناصر خارجة عن الثكنة وعلى علاقة بحزب الشعب. وفي هذا الإطار ورداً على دعوة أحد عناصر الحزب بفرع البليدة بخصوص دعوة الجزائريين إلى الانتقام من الفرقة العسكرية السنيغالية المرابطة في المنطقة والتي اعتبرها المسؤولة عن المجزرة التي لحقت بالمجندين قام عناصر ذات الفرع بتغريم هذا العضو، وذلك تماشيا مع الموقف العام لقيادة الحزب الجديدة التي نفت علاقة الحزب بتلك الأحداث ونظّمت خلايا الحزب على مستوى كل من البليدة، بوفاريك وسيدي موسى حملة تحسيسية عن طريق الفرق المسرحية لإبراز موقف الحزب من تلك الأحداث.(C.A.O.M., **4I8**,rapport N°955,incident de la maison carré, activité du PPA,1941)

و عرفت سنة 1942 ظروفا اقتصادية واجتماعية صعبة زادت في تعزيز النشاط السري لحزب الشعب ولا سيما في أعقاب إنزال الحلفاء في شمال إفريقيا في 08 نوفمبر 1942 ومرور المنطقة برمّتها إلى سلطة احتلال ثاني هو الاحتلال الأنجلو- ساكسوني في الجزائر والمغرب واحتلال ألماني لتونس، وما واكب هذا الإنزال من تغيّر في الموقف السياسي والعسكري في المنطقة، حيث شرعت سلطات الاحتلال الفرنسي المنقلبة على حكومة فيشي في إعادة تكوين الجيش الإفريقي الذي أوكلت له مهمة مطاردة قوات المحور في شمال إفريقيا ثمّ الانتقال إلى تحرير الأراضي الإيطالية والفرنسية، وكان هذا الدور يعني إعادة عملية التعبئة في صفوف الشباب الجزائري الذي سوف يشكّل عناصره أغلبية الوحدات القتالية في هذا الجيش.

لم تكن عملية التعبئة الثانية سهلة ومرضية لسلطات الاحتلال في الجزائر حيث شدّدت التقارير العسكرية التي تابعت هذه العملية على صعوبة المهمة في ظلّ تنامي الوعي السياسي بين الجزائريين بربط آداء الواجبات بتحقيق المساواة في الحقوق مع بقية العناصر الاجتماعية الأخرى أي الأوروبيين واليهود، فقد جاء في أحد التقارير ما نصّه:"إن عملية التعبئة الجارية حاليا تتم في ظروف مادية ومعنوية جدّ صعبة، إن الاضطراب الحاصل في معنويات الأوروبيين لن يكون بدون انعكاسات على الأهالي، الذين

نلاحظ عليهم استفاقة روح المطالب لديهم والتي حجبتها صرامة الإجراءات دون اقتلاع جذورها" (C.A.O.M., **4I8**, note de renseignement N°771/C.I.E, Alger le 25 novembre 1942).

لقد شكلت قضية إعادة تعبئة المجندين الجزائريين إلى صفوف الجيش الإفريقي مادة دسمة للنشاط الدعائي لحزب الشعب الجزائري في كل المناطق الجزائرية وبالخصوص على مستوى العاصمة والقطاع المتيجي بالنظر إلى درجة الوعي الموجودة لدى المناضلين في هذه المنطقة، ثم لوجود أكبر مراكز تجميع المعبئين على مستوى مدينة البليدة وضواحيها ولعل أهم عمل قام به عناصر الحزب في هذه المنطقة هو تحريض الشباب على العصيان وعدم الالتحاق بمراكز التجنيد، وفي هذا الإطار جاء في أحد التقارير العسكرية الخاصة بإحصاء الاحتياطيين من الأهالي من دفعة 1937 في مقاطعة البليدة تسجيل حالة عجز في تعبئة المجندين على مستوى ثلاثة مراكز بنسبة بلغت 86%، والجدول التالي يوضح حالة العجز في هذه المراكز (Archive nationale**, f60-811**, région d'Alger, subdivision de Blida, rapport de l'officier militaire, le 12 /06/1942):

المستودع	العدد المتوقع	العدد المستقبل	العجز
1	256	47	209
2	210	18	192
29	208	28	180
المجموع	674	93	581

لقد اعترفت السلطات العسكرية الفرنسية أن السبب من وراء هذا العجز هو رفض تلبية دعوات التعبئة من قبل الشباب الجزائري وذلك تحت تأثير النشاط الدعائي لعناصر حزب الشعب الجزائري الذي تعرّض مناضلوه مع نهاية شهر أفريل 1943 إلى حملة اعتقالات واسعة وبالخصوص على مستوى القطاع المتيجي.

لقد أعاد الدكتور أمين دباغين تشكيل قواعد الحزب مع نهاية عام 1942 والذي أحصى في هذه الأثناء أكثر من 500 مشترك كانوا يتوزعون على كل من: عنابة، تلمسان، شرشال وبالخصوص مدينة البليدة التي شكلت مركزا حيويا وذلك حسب ما ذكرته التقارير الأمنية الفرنسية. ويبدو أن

تأثيرات حملات حزب الشعب الجزائري لم يكن صداها مقتصرا فقط على الشباب المعني بالتجنيد، بل بلغت حتى الوجوه السياسية المرموقة آنذاك، فهذا السيد فرحات عباس الذي تطوّع صيدليا في الجيش الفرنسي خلال التعبئة الأولى يغيّر موقفه بنسبة 180 درجة وليتحوّل من نصف فرنسي إلى نصف جزائري حسب ما وصفه الدكتور أبو القاسم سعد الله، حيث صرّح في نفس الفترة بما نصّه:"ما دام الشعب المسلم لا يعرف لما يقاتل عنه لن يُترك ليذهب إلى التعبئة، وإذا لم نتوصل إلى وفاق مع الحكومة سأنزل إلى الشارع"(A.N.**f60-812**, bulletins mensuels d'information et de documentation sur la situation politique établis par la sécurité générale du gouvernement générale, juillet 1943).

3نشاط الوطنيين في متيجة داخل حركة أحباب البيان والحريات:

لقد واكب إنزال الحلفاء في شمال إفريقيا حالة تململ في الرأي العام الجزائري اتجاه الوضع السائد تحت سلطة حكومة منهزمة وعاجزة، حيث اعتبرت إحدى نشريات حزب الشعب قضية الإنزال بأول هزيمة كبرى للجيش الإستعماري الفرنسي منذ 1830(Ageron ch, 1979 : p.556). لقد أصبح الوضع الجديد مناسبا بعد إنزال الحلفاء ليقدّم فرحات عباس مبادرة سياسية جديدة عُرفت ببيان الشعب الجزائري والذي حمل عنوان الجزائر أمام الصراع العالمي – بيان الشعب الجزائري – والذي تضمن مقدمة وقسمين، تناول القسم الأول تحليلا نقديا للوضع الحاضر في حين تضمّن القسم الثاني مقترحات لعلاج الوضع وكان ذلك في 10 فيفري 1943، وأعد السيد فرحات عباس وأصدقاؤه مشروع إصلاحات ملحقة بالبيان عُرفت باسم "ملحق البيان"، سُلّم في 10 فيفري 1943 إلى الجنرالين ديغول وكاترو.

لقد شكّل البيان أرضية وغطاءا سياسيا لنشاط خلايا حزب الشعب في مختلف المدن والقرى الجزائرية ولعلّ من أبرز تلك الفروع فروع القطاع المتيجي حيث اكتسح مناضلو هذا الحزب الفروع المحلية للتنظيم الجديد الذي بات يُعرف بأحباب البيان والحرية (A.M.L)، ففي عاصمة الإقليم المتيجي (البليدة) تشكّل فرع الحركة المؤقت وفقا لما ذكره تقرير مسؤول دائرة البليدة في 25 مارس 1945 من السادة قادري الشريف بن علي (تاجر) والذي وصفه التقرير بمعاداة الإدارة الفرنسية وقوّة مشاعره الوطنية أمينا عاما للفرع ونائبه السيد دوبة محمد وهو عضو سابق في فرع حزب الشعب بالمدينة ووصفه التقرير بالمناضل الحركي والمعادي للمصالح الفرنسية وأوردت هذه الوثيقة أسماء بقية المسؤولين

مثلما هو الحال بالنسبة للمكلفين بمالية الفرع وهما السيدان: اسماعين محمد ومساعده زموري محمد كما وردت أسماء مساعدي الفرع وهم مصطفى أرزقي (مسؤول سابق لنادي المحامين) والسيد لعوامي محمد (تاجر جملة للخضر والفواكه)(C.A.O.M., **4I10**, note de renseignement N° 6645, Blida le 05 mars 1945.).

كما تشكّلت فروع الحركة في كل من بوفاريك، القليعة ، شرشال وحجوط، فبخصوص فرع بوفاريك أوردت تقارير الإدارة الفرنسية تركيبة الفرع على النحو التالي:

- الأمين العام للفرع: السيد ونوغي عبد القادر بن علي البالغ من العمر 29 وهو عضو سابق في حزب الشعب بنفس البلدية وشقيقه لخضر نائبا له عن الفرع، وهو الآخر أُعتبر عنصرا حركيا في حزب الشعب سابقا.

- مسؤول المالية: السيد طالب طيب بن علي البالغ من العمر 29 سنة.

- يضاف إلى هؤلاء السيد غرس رابح على رأس قائمة المساعدين(C.A.O.M. **4I10**, rapport du commissaire de Boufarik N°330sur la création à Boufarik d'une section des amis du manifeste et de la liberté, Boufarik le 26 fevrier 1945)

وعلى مستوى مدينة القليعة تشكّل فرع الحركة من السيد بناني البشير أمينا عاما ونائبه امطاهري محمد، وفورة احمد المدعو بوزيد بن حسان أمينا عاما للمالية ونائبه رتاس الحسين. وذكرت الوثيقة الخاصة بمكتب القليعة قائمة المناضلين المساعدين لمسؤولي الفرع ونذكر منهم: امبارك محمد بن علال وأوشفون محمد، والحاج عامر محمد الصغير وفحص محمود وكيسارلي جلول وبلقايد محمد وزيري محمد. وبخصوص نشاط هذا الفرع فقد شكلت- دار العافية – الواقعة في شارع السوق وسط القليعة مركز لقاء المناضلين ومكان تنظيم تجمعاتهم الشعبية في ظلّ إصرار سلطات الاحتلال عدم منحهم الترخيص باستغلال قاعة الاحتفالات البلدية ففي يوم 1945/03/25 نظم الفرع أول تجمع بهذه الدار حضره قرابة 300(C.A.O.M. **4I10**, rapport spécial du commissaire de Coléa N°636sur l'activité des A.M.L, le 29 mars 1945.) شخص مما دفع شرطة المدينة إلى فتح تحقيق حول طبيعة هذا التجمع واستخلاص أهم التدابير التي ينبغي اتخاذها لاحقا.

لقد تركّز النشاط السياسي لهذه الفروع بصفة عامة في العمل الدعائي والتوعوي للجماهير من خلال التجمعات وعن طريق توزيع جريدة المساواة التي كانت لسان حال هذه الحركة بالإضافة إلى تعليق

المناشير التي تعدّدت مواضيعها ولاسيما تلك المتعلقة بإعادة استنساخ نصوص البيان الجزائري أو المناشير التي حملت عنوان الإخوان المسلمون، والتي ركزت على نقد الوضع القائم في الجزائر واعتبار حالة الدمار المادي والمعنوي الذي لحق بالجزائريين منذ عام 1830 سببه السياسة الاستعمارية التي أُخضعوا لها وأدان المنشور الأخير أمرية 07 مارس 1944 واعتبرها غير ديمقراطية ولا تعدو أن تكون مجرّد مناورة هدفها إبقاء الجزائر في المدار الإقليمي الفرنسي ومنع الشعب الجزائري من طرح قضية استقلاله على مؤتمر السلام(C.A.O.M, **4I10**, le tract du manifeste algérien, à l'occasion du 2ème anniversaire, (le 10 février 1943-le 10 février 1945, et le tract intitulé frères musulmans mars 1945). وانتهى نص هذا المنشور إلى دعوة كافة الجزائريين إلى مقاطعة الانتخابات المزمع إجراؤها سنة 1945 من خلال الامتناع عن التسجيل في القوائم الانتخابية الفرنسية.

إن النشاط المتزايد لمناضلي حركة أحباب البيان والحرية قد شدّ انتباه سلطات الاحتلال المدنية والأمنية ممّا جعلها تعلن حالة استنفار في صفوفها بغية تتبع كل حركات المناضلين وتحليل تلك التحركات واستخلاص النتائج التي على ضوئها تحدّدت طبيعة الإجراءات التي يتوجّب اتخاذها ضدّ الجزائريين الذي بلغت درجة النضج والوعي السياسي لديهم مستوى متقدّم في أعقاب ما لحق بفرنسا الاستعمارية من هزائم وإذلال على يدّ الألمان أولا ثمّ الحلفاء ثانيا، وما واكب هذه الأحداث من نشاط دعائي لمختلف أطراف الصراع الدولي والذي سمح للوطنيين الجزائريين بالاطلاع على معطيات وأفكار جديدة ساهمت في بلورة هذا الوعي.

و من جهتها كانت سلطات الاحتلال تدرك مستوى الوعي السياسي لدى الجزائريين ودرجة الانهيار الذي بلغته سمعة فرنسا أمام أبناء مستعمراتها، فراحت توظف آلتها القمعية لاستعادة جزء من هيبتها المهزوزة ضدّ الشعب الجزائري الذي خرج للتظاهر سلميا في الثامن ماي 1945 معبرا عن مشاعره إزاء انتصار العالم على القوى النازية والفاشستية من جهة وتذكير الفرنسيين بما قطعوه من وعود على أنفسهم بخصوص تسوية الأوضاع في المستعمرة، فكانت مجازر الثامن ماي التي راحت من خلالها سلطات الاحتلال تُشرعن لنفسها قانون القتل بداعي مواجهة حالة التمرّد والثورة في المستعمرة. وإن كان مسرح الأحداث هو مدن سطيف، قالمة وخراطة، إلا أن صدى تلك الأحداث قد عمّ أغلب أرجاء القطر الجزائري، كما أن الإجراءات التعسفية من اعتقال وسجن وإعدام قد طالت كل الوطنيين عبر القطر الجزائري، ولكن رغم ذلك فإن حالة الغضب الشعبي ظلّت سيدة رغم إجبار إدارة الاحتلال بعض الوجوه الوطنية على إدانة الأحداث والتبرؤ منها.

و في هذا السياق جاء في تقرير قائد الدرك الفرنسي بالبليدة المؤرخ في 30 ماي 1945 النقيب بيريي Perrier بناء على جملة التقارير الواردة إليه من مختلف مفارز الدرك الفرنسي في الإقليم المتيجي امتناع السكان المسلمين حضور الاحتفال الوطني الفرنسي الذي جرى يوم 09 ماي بالنصب التذكاري المخلّد لذلك كما أشار التقرير إلى مقاطعة المستشارين البلديين من المسلمين تلك الاحتفالات رغم حصولهم على دعوات الحضور الرسمية(C.A.O.M., **4I10**, rapport N°73/4 du capitaine Perrier sur l'activité politique des A.M.L, Blida le 30 mai 1945).

لقد عبّر هذا الموقف لسكان المنطقة عن رفضهم القاطع للسياسة المنتهجة من قبل إدارة الاحتلال وعن تضامنهم وتعاطفهم مع إخوانهم في شرق البلاد، ومن ناحية أخرى خلص تقرير النقيب بيريي إلى ضرورة اتخاذ الاحتياطات والإجراءات اللازمة لمواجهة أي مستجدات في المنطقة معتبرا هذا الموقف دليلا على شعور واضح معادي لفرنسا والفرنسيين لا يمكن إلا أن يؤثر على أبناء الأهالي لاحقا(C.A.O.M., **4I10**, rapport N°73/4 du capitaine Perrier sur l'activité politique des A.M.L, Blida le 30 mai 1945).

خاتمة:

رغم شدّة الإجراءات القمعية التي تبنتها إدارة الاحتلال الفرنسي في الجزائر عشية إعلان الحرب العالمية الثانية وقساوة الظروف الاقتصادية والاجتماعية التي واكبت الحرب، إلا أن العناصر الوطنية على مستوى الجزائر عامة وإقليم متيجة خاصة قد استطاعت التكيّف مع الظروف الاستثنائية للحرب والتعبير عن مطالب الجزائريين الشرعية بمختلف الوسائل المتاحة آنذاك، كما أن تجربة حركة أحباب البيان والحرية قد سمحت للعناصر الوطنية في الإقليم المتيجي من تنظيم أنفسهم والتحرّك في فضاء سياسي شبه رسمي من أجل ربط اتصالهم بالجماهير الشعبية والسعي لتوعية هذه الأخيرة بجملة الأفكار الوطنية الجديدة وفي مقدمتها التعبير عن حق الجزائريين في الحرية والانعتاق من النير الاستعماري.

ثم إن أغلبية الذين أطّروا هذه الحركة النضالية الوطنية كانوا من فئة الشباب المتنوّر والمآزر من فئة الموظفين والعمال البسطاء والتجار والذين شكلوا السند المادي لهذه الحركة وهي معطيات لم تفت سلطات الاحتلال التوجّس من دلالات تأثيراتها المستقبلية، حيث وصفتها تقارير الإدارة الفرنسية بالخطر المحدق.

المصادر والمراجع:

1/- الأرشيف:

-Archive nationale, **f60-811**, région d'Alger, subdivision de Blida, rapport de l'officier militaire, le 12 /06/1942

-A.N.**f60-812**, bulletins mensuels d'information et de documentation sur la situation politique établis par la sécurité générale du gouvernement générale, juillet 1943

-CAOM,**81f865**,GGA cabinet civil directives aux autorités locales 1944-1953,imprimerie officielle Alger.

- C.O.A.M.,GGA ,**2X103-27**,rapport sur le projet de la loi relatif a l'organisation administrative de l'Algérie.

- CAOM,GGA,**9H27** ,voyage d'études et d'information dans le département d'Alger, le 5janvier 1943

-C.O.A.M. **4I8**, note de renseignement N°85, centre de des informations et des études principaux militants du PPA d'Alger, Alger le 28 janvier 1940.

-C.O.A.M., 4I8, note de renseignement N°85 du centre des informations et des études, Alger le 29 janvier 1940

-C.A.O.M., 4I8,un bout de papier mentionné ,RM ,avril 1940.

-C.A.O.M., 4I8, note de renseignement N°771/C.I.E, Alger le 3 juillet 1940.

-C.A.O.M., 4I8,R M, Alger aoutS1941.

-C.A.O.M., 4I8, rapport N°955, incident de la maison carré, activité du PPA 1941 .

-C.A.O.M., 4I8, note de renseignement N°771/C.I.E, Alger le 25 novembre 1942.

-C.A.O.M., **4I10**, note de renseignement N° 6645, Blida le 05 mars 1945.

-C.A.O.M. 4I10, rapport du commissaire de Boufarik N°330sur la création à Boufarik d'une section des amis du manifeste et de la liberté, Boufarik le 26 février 1945.

-C.A.O.M. 4I10, rapport spécial du commissaire de Coléa N°636sur l'activité des A.M.L, le 29 mars 1945.

-C.A.O.M, 4I10, le tract du manifeste algérien, à l'occasion du 2ème anniversaire, le 10 février 1943-le 10 février 1945, et le tract intitulé frères musulmans mars 1945.

-C.A.O.M., 4I10, rapport N°73/4 du capitaine Perrier sur l'activité politique des A.M.L, Blida le 30 mai 1945.

- ministère des affaires étrangères et européenne, guerre-vichy 1939-1945,**volume 153**,rapports d'inspection 1942-1943,centre de Djenien Bou-rezg.

2/- المصادر والمراجع العربية:

- المقدسي،2003، أحسن التصاميم في معرفة الأقاليم، تعليق محمد أمين الضناوي، دار الكتب العلمية، لبنان.

-حسيني عائشة ، 2013،الاستيطان الأوروبي في سهل متيجة 1830-1870، رسالة دكتوراه مقدمة في جامعة وهران .

-حليمي عبد النور، 1968، جغرافية الجزائر الطبيعية البشرية والاقتصادية، ط1، المطبعة العربية، الجزائر.

- سعيدوني نصر الدين ،2000، ورقات جزائرية، دار الغرب الإسلامي، ط1، لبنان .

3/- المراجع باللغة الفرنسية:

2- Ageron Charles Robert,1979, Histoire de l'Algérie contemporaine de l'insurrection 1871au délanhement de la guerre de libération 1954, PUF,paris .

3- de Heado Fray Diègo, 1870, topographie et histoire générale de l'Algérie, trad. De l'espagnol au français par le Dr.Mondera et Verberggen, paris .

4- Dumas Eugène, 2006 mœurs et coutumes de l'Algérie, éd.A.N.E.P, Alger.

5- Franc Julien, 1923, le climat de la métidja, in : société de géographie d'Alger et de l'Afrique du nord, 2ème trimestre.

6- Franc Julien, 1931,la colonisation de la Mitidja, in : histoire des colonies francaises,t19,n°79.

7- Recham Belkacem, 1996, les musulmans algériens dans l'armée française, ed l'hrmattan ,France .

8- Rivoinard Robert, 1952, aperçu sur hydrologie de la métidja au XIX siècle, congrès géologique international, Alger.

الملحق رقم 1: صورتان لموقع ومعتقل جنان بورزق

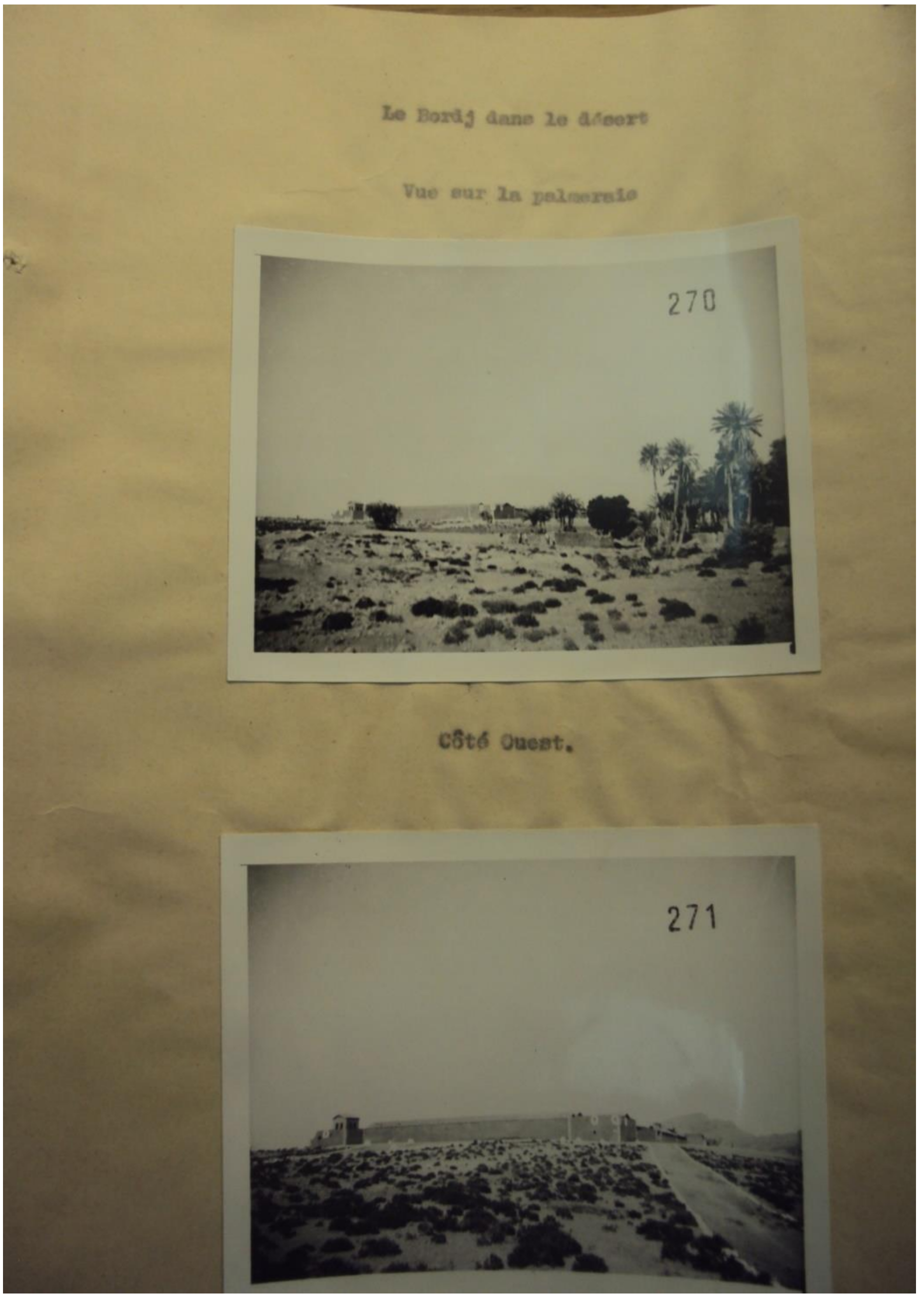

ministere des affaires étrangères et europiénne, guerre-vichy 1939-1945,volume 153,rapports d'inspection 1942-1943,centre de Djenien Bou-rezg